**كلية الجغرافية**

**السنة الثالثة**

8+9**والأخيرة**

**المحاضرة**

**انتروبولوجيا**

د. رفعت مقداد

**التبشير والاستشراق الأوروبي**

**8**

عدد الصفحات :

**التبشير والاستشراق الأوروبي ودوافعه الاستعمارية**

**التبشير الأوروبي :** عملت السلطات الأوروبية بعد عصور النهضة والثورة الصناعية على نقل ثقافتها إلى شعوب العالم الأخرى باسم التبشير الديني وذلك لأهداف متعددة هي :

**أولاً : أهداف التبشير وأدواته :**هدفت الدول الأوروبية إبان عصر النهضة الصناعية وما بعدها من ظاهرة التبشير في الدول المتخلفة علمياً وتقنياً واقتصادياً خارج القارة الأوروبية وفي مناطق الشرق الآسيوي وبخاصة العربية منها وذلك للأغراض أو الأهداف التالية :

1. البحث عن موارد خام اقتصادية في خارج حدود أوروبا.
2. تأمين أسواق تصريف لمنتجاتها الصناعية الآخذة في التطور كماً ونوعاً.
3. نشر تعاليم دينية لتحقيق مصالح اقتصادية وسياسية لأوروبا تحت ستار الدين المسيحي الذي يدعو إلى السلام والتآخي ونشر روح المساواة بين البشر. وقد أشار أحد الفرنسيين المعاصرين إلى ذلك بقوله : "لقد وجد كل طرف مصلحته في هذا الاتفاق بين الحكومات الفرنسية والجماعات الكاثوليكية، فحيث ينشط تأثيرنا يفتح حقل جديد لنشاط المرسلين".

**أما هدف أوروبا والعالم الغربي من النشاط التبشيري في الوطن العربي فكان :**

1. الحصول على مكاسب اقتصادية فقط **مثل** الموارد الاقتصادية وجعل الوطن العربي سوقاً نشطاً لتصريف منتجاتها الصناعية.
2. تهديد البنية الاجتماعية والروحية للسكان وجعلهم يتنكرون لعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم الروحية وقيمهم الاجتماعية وإلى لغتهم وفنهم وذوقهم الجمالي في كل شيء التي تعد بدورها بمثابة المقومات الشخصية والقومية للفرد عن طريق إحلال ثقافة جديدة غريبة عن بيئته الاجتماعية والروحية.

ج- ضمان السيطرة على الشعوب تحت ما يسمى "التخريب الحضاري" أو "حرب المعنويات الروحية" **مثل :** حرب اللغة- الثقافة- التعليم- الفن- الأدب- الذوق الجمالي سواء في الغذاء أو الملابس وفي كافة أشكال الفن و"حرب المعنويات الاجتماعية" حيث يحارب الإنسان بعاداته وتقاليده وفي طقوسه الحياتية اليومية بأفراحها وأحزانها، إضافة إلى اللعب على وتر المرأة ومكانتها الاجتماعية، أما التخريب الحضاري يكمن أساساً في تحقيق العزلة القسرية للجوانب الحضارية لتراث الأمة وتبديل هويتها السائدة بهوية الحضارة المستعمَرة لكي تدفن ذاكرتها وجسور اتصالها مع ماضيها وأن تذوب في المجتمع الغالب.

**ثانياً : الممارسات التبشيرية للدول الأوروبية :**

سخر الغرب وبخاصة الأوروبيين كلاً من المبشرين والمستشرقين المختصين بعلم الأنتروبولوجيا في دراسة الإنسان وأعماله : عضوياً وثقافياً واجتماعياً وروحياً بغية معرفة المقومات الشخصية للفرد التي توجه سلوكه اليومي من جهة وتضبط علاقاته اليومية المعاشة مع بقية أفراد مجتمعه الذي هو عضو فيه من جهة ثانية. ولمعرفة نقاط القوة ونقاط الضعف في ثقافته المتمكنة منه سلوكياً ومعاشياً من أجل ضربه في نقاط ضعفه وبخاصة الروحية منها حيث أذكوا نار الفتنة الدينية والطائفية والمذهبية والعشائرية والإقليمية بين الإخوة من أبناء الوطن الواحد ليسهل لهم السيطرة عليه ونهب خيرات بلادهم وزرع بذور التفرقة والعداوة من أجل أن يتقاتلوا فيما بينهم لصالح المستعمر كما حصل في السودان والعراق وسورية واليمن وليبيا مع العمل على ديمومة الشعب العربي في حال من التخلف والتمزق والعمل على جعله شبعاً مستهلكاً للمنتجات الاستعمارية وبعيداً عن مجال الإنتاج.وهكذا يدرك الغرب أهمية العامل الثقافي في إيجاد مرتكزات اجتماعية لتسهيل عملية التغلغل الاستعماري في مجال التربية محاولين غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس شعوب البلدان المستعمرة ليصبحوا متفرقين ومغتربين في حياتهم وتفكيرهم وهم في بلدانهم.

**ثالثاً : النتائج التي حققتها الدول الاستعمارية من خلال التبشير :**

**لقد حققت الدول الاستعمارية الأوروبية من خلال التبشير مجموعة من الأهداف أهمها :**

1. زرع الفتن الطائفية والعشائرية.
2. خلق قوى اجتماعية جديدة تتعاطف مع أهدافهم وداعمة للاستعمار.
3. زرع ظاهرة التغريب الثقافي المادي والروحي والاجتماعي والسياسي في فكر الإنسان من الدول

المُستعمرة وسلخه عن هويته الثقافية والاجتماعية وعن هويته القومية.

1. محاربة اللغة والمعتقدات الروحية والعادات والتقاليد الإيجابية القيمة ومحاربة الفن بأنواعه للسيطرة على الشعوب ونهب خيراتها أو مواردها البشرية والاقتصادية (المادية).

**رابعاً : الاستشراق الأوروبي ودوافعه الاستعمارية :**إن التبشير والاستشراق الأوروبي هما دعامة للاستعمار الأوروبي الغربي في البلدان العربية والنامية، فكلاهما يهدفان إلى هدم القيم أو أضعافها والتنصل من اللغة الفصحى وتقطيع أواصر القربى بين أبناء الوطن الواحد أوالأمة الواحدة.

ويعد الاستشراق لوناً من ألوان التبشير الذي يرمي إلى تفتيت الأمة العربية وتقزيمها مع العمل على أن يبقي أبناؤها قابعين في بوتقة التخلف والتمزق بعيدين عن كل طموح عربي وحدوي وحتى بعيدين عن وحدة الكلمة ليسهل احتلال بلادهم ونهب ثرواتهم ومثال ذلك : يفصح المستشرق الفرنسي **"لورانس براون"** عن ذلك بقوله : "إذا اتحد العرب في إمبراطورية عربية واحدة أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً عليه وأمكن أن يصبحوا نقمة له أيضاً، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذٍ بلا قوة ولا تأثير".

ويفصح المستشرق **"كالاهاك"** عن ذلك بقوله : "إن الوحدة العربية تجمع آمال الشعوب العربية وتساعدهم على التملص من السيطرة الأوروبية ولذلك كان التبشير والاستشراق عاملاً مهماً في كسر شوكة هذه الحركات، ذلك لأن التبشير والاستشراق يساعدان على إظهار الأوروبيين في ثوب جديد جذاب وعلى سلب هذه الحركات العربية من عنصر القوة والتمركز فيها".

**خامساً : أساليب التبشير والاستشراق :**

تنوعت أساليب التبشير والاستشراق في الوطن العربي منذ بداية الاحتلال الأوروبي لأقطاره في جميع المجالات من التعليم والتربية إلى دور الطباعة والنشر والثقافة والصحة والموارد والاقتصاد والسياسة... الخ.

ومما يجدر ذكره أن المستشرقين اليهود (الصهاينة) كانوا قد أقبلوا على الاستشراق لأسباب هي :

1. إضعاف القيم الروحية والتشكيك في قيمتها.
2. أسباب سياسية تهدف إلى خدمة الصهيونية لتحقيق مشروعها الاستعماري في إقامة دولة لليهود في فلسطين.
3. تشويه صورة العرب في أذهان الأمم الأخرى والحكم عليه بالبلادة والكسل.

ولقد قال الأنتروبولوجي الوظيفي **"مالينوفيسكي"** فيما يتعلق بالأحكام المسبقة عن المجتمعات البشرية غير الأوروبية : "بكل من الأحكام المسبقة والصور المنمطة التي كونها المستعمرون عن الأهالي سكان البلاد التي انتشرت الإرساليات بين ظهرانيهم في كل من آسيا وإفريقيا وبخاصة في الوطن العربي إذ حكموا عليهم بالبلادة والكسل أو صوّروهم بصورة تتحكم بحياتهم سلوكات وتصرفات غير متناسقة مع مقتضيات الفعل وتجعلهم غير مؤهلين لأي نوع من أنواع التقدم، كما هاجم الاستعمار والإداريين أو الإرساليين الأوروبيين وحملهم مسؤولية المس بالعادات والتقاليد التي يدين بها الأهالي الأصليين.

علم الأنتروبولوجيا ونظريات التمييز العنصري

**استغلال الفوارق الجسدية من قبل العنصريين :**

حاول الأوروبيون الذين حملوا راية سياسة التمييز العنصري الوهمية التي لا تستند إلى قواعد علمية ضد الشعوب غير الأوروبية كافة، إذكاء أو ترسيخ روح التباين بين البشر وأن سبب التباين في الصفات السلالية هو نتيجة لاختلاف الظروف الطبيعية منها والاجتماعية التي كانت قد خضعت لها الجماعات البشرية خضوعاً يختلف باختلاف العوامل التي أحاطت بأعضاء كل جماعة منها : كونية- جغرافية- كيميائية- فيزيائية- وحيوية- واجتماعية....الخ.

استغرقت عملية نشوء الفوارق السلالية عند أسلافنا مئات الألوف من السنين لمسيرة تطورهم العضوي والثقافي والاجتماعي، وقد تم إبان ذلك توريث أحيائي لسائر الصفات السلالية العضوية **مثل :** لون البشرة- ولون الشعر وشكله- شكل الرأس والوجه- شكل الشفاه- لون العينين وشكلهما- نسبة الأطراف إلى الجذع- الزمر الدموية وأمراض وراثية متعددة...الخ. وذلك عن طريق الصبغيات المورثة التي بلغ تعدادها عند البشر 46000 عامل مورث، حيث يورث كل عامل صفة ملازمة له وغالباً ما يكون توريث الصفات الوراثيةمن الوالدين إلى الأولاد مناصفة فيما بينهما، علماً أن قوة توريث الصفات السلالية من السلف إلى الخلف تستمر مدة تزيد على (6 أجيال).

استغلت الفوارق الجسدية بين أفراد البشر **"الإنسان الحالي Homo Sapiens"** من قبل العنصريين في أوروبا بدءاَ من عصر النهضة الصناعية بغية تحقيق مكاسب اقتصادية غير مشروعة وغير إنسانية خارج المدى الجغرافي لشعوب القارة الأوروبية وذلك على حساب الشعوب الأقل منهم تطوراً في المجال الصناعي والاقتصادي في كل من آسيا وإفريقيا وجنوب القارة الأمريكية.

أخذت دائرة التمييز العنصري تتعاظم حتى شملت كامل أوروبا حيث ظهرت حركات عنصرية ذات طابع سياسي توسعي أرضي على حساب الناس الآخرين الأضعف.

**الآرية وخرافة وجودها كسلالة بشرية مزعومة ومتفوقة :**

الآرية حركة عنصرية وهمية ظهرت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر نادت بالتمييز العنصري وبتفوق السلالة الآرية، ظهرت في ألمانيا وتمت محاولة ترجمتها إلى واقع على يد **"أدولف هتلر"** في ألمانيا.

وقال بأن الإبداعات الثقافية هي وقف على أناس ينتمون إلى هذه السلالة. وبتفوق العرق الآري على بقية الأجناس البشرية ووصل الحد بالعنصريين إلى القول :

"إن البشر لا يتساوون في إمكاناتهم الفطرية في القدرة على العطاء الثقافي لأسباب عضوية تكمن في أجسادهم وإن البشر لا ينحدرون من أصل واحد وإنما ينحدرون من أصول متعددة، وإن أفراد كل سلالة قد تطوروا ثقافياً وعضوياً بشكل مستقل كل منهما عن الآخر، وأن العرق الآري هو وحده فقط الذي يمتلك إمكانات فطرية ونفسية تؤهله للإبداع الثقافي والتسلط على غيره من أبناء الشعوب الأخرى".

لكن المعطيات العلمية لعلم الأنتروبولوجيا تؤكد عكس ذلك تماماً حيث تقول هذه المعطيات : إن أفراد البشرية

كافة بغض النظر عن انتماءاتهم السلالية الإحيائية هم متساوون في الامكانات والقدرات والاستيعاب لما يعطوا عن طريق التعليم أو التلقين، إذا ما كانت الظروف الموضوعية هي واحدة لدى الجميع.

ويقول الباحث **"رالف لنتون"**في ذلك : "إن الأفراد لا يولدون لآية غرائز للنشاطات الخاصة التي يسهمون بها في حياة الجماعة أو لنماذج السلوك الرسمية اللازمة لاستمرار الحياة الاجتماعية". وقد أكد العلماء السوفييت : "أنه لا توجد أي اختلافات في الدماغ من حيث تركيبه وآلية عمله، عند كل أفراد السلالات البشرية وإن جميع البشر متساوون في قدراتهم على التفكير والعطاء وفي القدرات الثقافية والإبداعية من خلال العمل، إذا ما توفرت الظروف الموضوعية لذلك، وأن جميع الناس وبانتماءاتهم العضوية المختلفة كانوا قد انحدروا من أصل واحد وقد أكد ذلك **"إخوان الصفا" :** "تساوي البشر جميعاً في القدرات العقلية والتفكيرية والإبداعية والاستيعابية".

ويرى **"رالف لنتون"** أن لفظة "آري" قد جاءت من القبائل التي غزت الهند والتي كانت تسمي نفسها "آريا Arya"، وقد تم استعمال اللفظ المذكور للدلالة عل جماعات بشرية كانت تمتهن النمط الرعوي وتوجد في منطقة واسعة بحيث تشمل السهول الأوروبية والآسيوية حيث لا توجد عوائق طبيعية تقف حائلاً أمام تنقلات تلك الجماعات الرعوية مما ساهم في انتشار لغة واحدة آنذاك، وتمتد تلك السهول من سلسلة جبال "تيان شان Tienshan" وحتى منطقة بحر البلطيق شمالاً". وأن تلك اللغة هي الهندو أوروبية وأنه إلى جانب تلك القبائل كانت بعض القبائل التركية- التتارية التي تعيش على حدودها الشمالية الشرقية، كما يوجد ما يدل على أن بعض اللغات الأوروبية كانت مستعملة خارج منطقة رعي الماشية منذ أقدم العصور، كما أن المخلفات الأثرية والمدونات التاريخية تشير كلها إلى ما يلي :

"إنه كانت توجد شعوب تتكلم اللغة الهندو أوروبية (الآرية) في التركستان الروسية وفي حوض "تاريمTarim" إلى ما قبل العصر المسيحي بفترة قصيرة. وأن تلك اللغات امتدت في اتجاه الغرب.

ويتصف سكان الأجزاء الشمالية من أوروبا بالعيون الملونة وشقرة البشرة والشعر الملون بدءاً من اللون الأصهب حتى اللون الرمادي الفاتح، في حين أن سكان الأجزاء الجنوبية للقارة الأوروبية المطلة على البحر المتوسط يغلب عليهم اللون الأبيض المائل إلى السمرة والشعر الخرنوبي الأسود والعيون العسلية والسوداء، فالألمان ذاتهم يتكونون من أكثر من سلالة بشرية نظراً لتباين الصفات السلالية الإحيائية فيما بينهم. وأن هذا التباين السلالي بين أفراد الشعب الألماني مسلم به نظراً لتعدد وتنوع العوامل الطبيعية ما بين المناطق الشمالية والجنوبية لألمانيا بالإضافة إلى تباين العوامل التاريخية والاجتماعية والإحيائية التي تجتمع جميعها في إيجاد هذه السلالة البشرية أو تلك. وهذا يدعو للقول أنه لا توجد أمة من الأمم نقية الدم والسلالة وأن ادعاءات

الحركات العنصرية ذات القاعدة السياسية الاستعمارية الاستغلالية هي لإثبات مزاعمهم العنصرية .

إن السلالة الآرية ذات مفهوم تجريدي وغير موجودة لأن الصفات العرقية المزعومة للآريين غير واضحة حتى في ذهن الأنتروبولوجيين الذين كانوا قد اختلقوا تلك البدعة العلمية غير الموضوعية.

**الصهيونية العالمية وخرافة وجود سلالة بشرية لمعتنقي الديانة اليهودية :**

تعد الصهيونية حركة عنصرية استعمارية استيطانية، وغير إنسانية تهدف إلى إقامة دولة عنصرية استيطانية في الأرض العربية الفلسطينية على حساب الشعب العربي الفلسطيني الصاحب الشرعي والتاريخي لأرض فلسطين، معتمدة على القوة والدعم الأوروبي الأمريكي، الذي جعل من منطقة الوطن العربي مجالاً حيوياً في استراتيجياتهم، وأن وجود كيان صهيوني على الأرض العربية يعد بمثابة الركيزة التي تحقق استمرارية التخلف والتجزئة للأمة العربية لتبقى مقدرات الوطن العربي نهباً للعامل الغربي المتطور صناعياً .

تزعم الصهيونية العالمية أن هناك نموذجاً سلالياً خاصاً ينضوي تحته سائر أتباع الديانة اليهودية في العالم، لكن الواقع السلالي لاتباع تلك الديانة هو مغاير لذلك الزعم الخرافي الذي تضحده أو تفنده المعطيات العلمية .

إن اليهودية ليست سوى عقيدة دينية، يدين بتعاليمها أناس ينحدرون من سلالات بشرية متعددة ومتباينة، كما أن معتنقي اليهودية ينحدرون من أرومات بشرية إحيائية واجتماعية، وثقافية مختلفة، حيث تفتقر تلك الأرومات إلى رابطة كلاً من : الدم – اللغة – التاريخ – والآمال المشتركة –والتراث الشعبي الشفهي والمكتوب، والأرض المشتركة والاقتصاد المشترك، حتى أن العامل الديني الذي اتخذته الصهيونية العنصرية أرضية لمبادئها الهدامة هو عامل ضعيف، ويؤكد ذلك النداء الموجه من المجلس الأمريكي لليهودية إلى وزير الخارجية الأمريكي **كريستيان**مايلي : "يعلن المجلس اليهودي أن اليهود لا يؤلفون جماعة قومية، وإنما هم جماعة دينية، ويتابع قوله : أننا في الولايات المتحدة لا نستطيع إلا أن تكون يهوداً فحسب على أساس ديننا، لا على أساس قوميتنا، ونحن نعتقد أن إسرائيل والقومية اليهودية (المزعومة) لا تستطيعان أن تقوما مقام قوميتنا الأمريكية، إننا نعتبر أنفسنا أمريكيين ذو عقيدة يهودية".

**التباين السلالي بين أتباع العقيدة اليهودية:** إن التباين السلالي بين أتباع العقيدة اليهودية يفوق التباين السلالي الحاصل بين أفراد السلالات الرئيسة الثلاث : المنغولية –الزنجية الإفريقية –القوقازية.

فهناك اليهود منغوليو السلالة حيث الصفات المنغولية، وهناك اليهود الزنوج مثل يهود الحبشة (الفلاشا) وجنوب إفريقيا حيث الصفات الإفريقية وهناك اليهود ذوو الصفات الأوروبية المتباينة .

إن القول المزعوم بوجود سلالة خاصة بمعتنقي اليهودية في العالم كما تدعي الصهيونية العالمية ذلك : هو

ضرب من ضروب الخيال لعدم وجود ذلك على الواقع وهو افتراء على العلم وعلى الحقيقة اللذين يدحضان ذلك الادعاء الذي يؤمن به اتباع الحركة العنصرية الصهيونية والمتعاطفين معها من الباحثين في علم الانتروبولوجيا.

**نستنتج مما سبق ما يأتي :** إن الزعم الصهيوني الكاذب بوجود سلالة بشرية خاصة بمعتنقي اليهودية في العالم هو زعم ملفق وباطل تدحضه كافة المعطيات العلمية للعلوم الإنسانية والطبيعية، وإن يهود العالم هم من سلالات بشرية مختلفة في صفاتها السلالية، حيث ينحدرون من أصول بشرية واجتماعية وثقافية متعددة وغير متجانسة، وأن الفروق السلالية الاحيائية بين اتباع الدين اليهودي، هي الفروق السلالية نفسها الموجودة بين أفراد السلالات البشرية الرئيسة الثلاث : المنغولية والزنجية الإفريقية والقوقازية الأوروبية، وما يتفرع عن كل منها من سلالات بشرية فرعية وثانوية، وإن اليهود هم أصحاب عقيدة دينية فقط، ولا رابط يربط فيما بينهم سوى الرباط الديني الضعيف الذي اتخذته الصهيونية العنصرية الاستيطانية بمثابة عامل قومي يجمع بين معتنقي اليهودية في العالم، فاليهودية ديانة شأنها بذلك الإسلام والمسيحية، حيث ينطوي تحت كل عقيدة دينية أناس يؤمن بها من قوميات وسلالات مختلفة ومتعددة .

**ويمكن القول مما تقدم :** أن اتباع الدين اليهودي الموجودين في كل أنحاء العالم لا يعيشون معاً على أرض واحدة وفي منطقة جغرافية واحدة، ولا يعيشون في مجتمع واحد وإنما هم موجودون في مجتمعات بشرية متعددة ومتباينة جغرافياً تبعاً للبنى الاجتماعية والثقافية والاقتصادية الموجودة في أماكن تواجدهم وهم بمثابة مجموعة من الناس على شكل فسيفساء متعددة الألوان والأشكال لا يربطهم سوى رابط الدينوهو ضعيف بالنسبة لهم .

**أسئلة: 1- وضح مفهوم التبشير وبين أهدافه وأدواته ؟**

**2- ما هي الممارسات التبشيرية للدول الأوروبية، وما هي النتائج التي حققتها الدول الاستعمارية الأوروبية من التبشير ؟**

**3- وضح مفهوم التبشير والاستشراق والعلاقة بينهما ثم بين أساليب التبشير والاستشراق ؟**

**4- وضح كيف استغل العنصريون الفوارق الجسدية في اذكاء تفوقهم العرقي والثقافي ؟**

**5- عرف الآرية موضحاً مقولة خرافة وجودها كسلالة بشرية متفوقة ؟**

**6- عرف الصهيونية مبيناً مزاعمها ومظهراً التباين السلالي بين اتباعها أو اتباع اليهودية مدعماً الإجابة بالأقوال والأدلة ؟**

**مع تمنيات بالنجاح والتفوق**